بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمة:

إن الحمد لله تعالى نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله خير نبي اصطفاه وإلى هداية الناس أرسله، وبعد:

صحوة وصيحة:

في ظل الصحوة الإسلامية العارمة، التي جعلت تنتشر في مختلف أرجاء الأرض، وعلى كل المستويات، بين العامة والخاصة، من أساتذة وطلاب ومهندسين وأطباء ومحامين وضباط وعسكريين ومدنيين، من مختلف فئات الأمم والشعوب، في عودة بدأت ترتسم معالمها على أرض الواقع سواء في العالم العربي والإسلامي، أو الأوروبي والأمريكي وغيره، مما يبشر بخير كبير سيطلّ على البشرية في هذا العصر الحديث مودعاً أيام الاسترخاء والتهاون والتماوت، التي مرت بها أمتنا الإسلامية بعد سقوط دولة الخلافة الإسلامية العثمانية مطلع هذا القرن، حيث تحولت بعدها البلاد العربية والإسلامية إلى أيتام على موائد اللئام، حيث راح قادة دول الحلفاء يمزقون الأمة الإسلامية وشعوبها، ويضعون بينها العوائق والسدود، ويصطنعون في طريق عودتها للالتئام العقبات، ويثيرون فيها **القوميات والوطنيات** لمنعها من العودة إلى التلاحم والتكامل، كي لا تتمكن من أخذ دورها العقائدي والسياسي والاجتماعي والاقتصادي والعسكري والثقافي والعلمي والحضاري على ظهر الأرض من جديد، لأنهم يعلمون أن هذه الأمة تمتلك من وسائل القوة المادية والمعنوية ما لو تم تجنيده وتعبئته وضم بعضه إلى بعضه تحت **قيادة واحدة** لجعل من المسلمين معسكراً دولياً كبيراً ومؤثراً على أحداث العالم، الذي تتحكم به أفكار وعقائد وأديان لا تتمتع بما يتمتع به الإسلام

من الوضوح والصحة والموضوعية والتطابق بين المكتشفات العصرية، التي توصل إليها العلم الحديث، وبين النصوص الدينية الثابتة في كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، في إشاراتها الكونية وأحكامها الاعتقادية والتشريعية، الذي يقطع معه أهل الفكر الصحيح والعقل الحرّ بأن مصدر هذا الدين القويم هو ذاته مصدر خلق هذا الإنسان الكريم والكون الرحيب.

صيحة وتحذير:

ولا شك أن ترك هذه الصحوة الإسلامية تشق طريقها وسط هذا الركام من مخلفات الزمن العفن، زمن الركود في ظل الاستعمار الدولي الخاطف لتركة الدولة العثمانية، سوف يؤدي إلى وصول هذه الصحوة إلى مركز القرار في الأمة، لتنال من المجد ذراه، ومن العزة والكرامة منتهاها وعندها سوف تكون قيادة العالم محل نزاع بين الإسلام وأصحاب الأيدلوجيات والأفكار البشرية، من رأسمالية إلى اشتراكية إلى شيوعية إلى ديانات سماوية محرفة من يهودية ونصرانية وبوذية، إلى ديانات أرضية بشرية من هندوسية وكونفوشيسية وسيخية وهندوكية وغيرها، لأنها سوف تتهاوى أمام سهام الحق التي يشتمل عليها الإسلام الذي هو آخر كلمات الله تعالى الشرعية للبشر على ظهر هذه الأرض، والذي جعل الله تعالى فيه من سلطان الحجة ما يحمل العلم البشري المادي الحديث، على إقراره وإثباته دون قصد منه لذلك، لتقوم به حجة الله تعالى على الإنسان الذي غرق في بحار الضلال حين ترك حبل الله المتين، وضل في متاهات الأفكار حين فقد نور الله المبين المستودع في كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، اللذين تركهما لنا رسول الله ﷺ للتعرف من خلالهما على الحق وتمييزه من الباطل (تركت فيكم ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً كتاب الله وسنتي)[1].

---

(١) قاله النبي ﷺ في خطبة الوداع، رواه الحاكم عن أبي هريرة مرفوعاً وقال: صحيح الإسناد وأصله في الصحيح. انظر الترغيب ح ١ ص ٨٠ رقم ٦ باب الترغيب في اتباع الكتاب والسنة. ورواه مالك في الموطأ بلاغاً: انظر جمع الفوائد ح ١ ص ٢٧ كتاب الإعتصام بالكتاب والسنة رقم الحديث ١٢٤.

ومن هنا يسعى الآخرون إلى القضاء على هذه الصحوة الإسلامية تحت غطاء مكافحة الإرهاب أو إلى عرقلتها بمختلف الأساليب، وأخطر هذه الأساليب استخدام بعض أبناء الأمة الإسلامية ليكونوا أدوات طيعة في أيديهم، وأبواقاً مصطنعة في أفواههم، تنعق بما فيه خراب كيان الأمة العقائدي والتشريعي خدمة للباطل في الأرض ونصرة للمبطل من أهلها.

مقاومة وتقويم:

وحتى لا يتمكن المغرضون من إفساد هذه الصحوة من الداخل، فقد رأيت أن أشارك اخوة لي في الدين كتبوا في محاولة ترشيد الصحوة الإسلامية، للمحافظة عليها من أن تُجهض أو أن تستغلّ، فقررت أن أكتب في العلوم الشرعية الأساسية باسلوب يرقى إلى التوسط المشروع والاعتدال الصحيح فيها، للحيلولة دون التحلل الذي يؤدي إليه التساهل في الدين ودون الانكسار الذي يؤدي إليه التشدد فيه، فقررت كتابة سلسلة في أصول المواد الشرعية بتلك الروحية، التي هي شاهد صدق وحكم عدل على الأمم والشعوب في الأرض كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾[1] لأن التطرف والتنطع والتشدد في الدين عقيدة وشريعة أساليب واتهامات يعتمدها من يريد تدمير الصحوة الإسلامية من داخلها، وفقد يتخذ من انتسابه إلى هذا الدين وسيره في ركاب الصحوة الإسلامية في المجتمع غطاء لصرف الأنظار عن حقيقة نواياه وخطورة أهدافه، وهي تدمير هذه الصحوة وإفسادها، وهو الأمر الذي حذرنا منه رسول الله ﷺ بقوله (هلك المتنطعون)[2] (إنّ المنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى)[3].

---

(١) البقرة آية ١٤٣

(٢) رواه مسلم. انظر مختصر مسلم للمنذري ح ٢ ص ٢٤١ كتاب البر والصلة باب هلك المتنطعون. رقم الحديث ١٨٢٤.

(٣) رواه البزار عن جابر مرفوعاً بلفظ (إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق، فإن المنبت لا ارضا قطع ولا ظهرا ابقى) انظر كشف الخفاء ح ١ ص ٣٠٠ رقم الحديث ٧٩٤.

وسأجعل الكتابة في كل مادة من تلك المواد الشرعية في حلقة مستقلة، وسميتها (سلسلة الأصول الخمسة)، وهي:

الحلقة الأولى: أصول العقيدة.

الحلقة الثانية: أصول الفقه.

الحلقة الثالثة: أصول التفسير.

الحلقة الرابعة: أصول الحديث.

الحلقة الخامسة: أصول الدعوة.

وقد جعلت كل حلقة منها في قسمين مستقلين: الأول في الدروس. والثاني في التمارين، ليكون في التمارين إعادة تثبيت للمعلومات باختصار غير مخل بالمادة وزيادة في ضبط أبحاثها ومسائلها والدلالة إلى كيفية الإجابة عن الأسئلة فيها تيسيراً على طالب العلم فيها.

وإنني لأرجو الله تعالى أن يجعل هذا العمل في ميزان حسناتي (يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم).

والحمد لله رب العالمين.

كتبه الشيخ الدكتور زكريا عبد الرزاق المصري
لبنان ـ طرابلس سنة ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.